

دليتا

نبذة تاريخية

للخوري بطرس روفائيل

نشر هذا البحث الدقيق لي بادة دليتا نموذجاً للتواريخ  
الخاصة 'متمنين على مؤرخينا الكرام ان يسرروا على السوية'  
فيفردوا ' كل لبادته ' نبذة مهمة مستندة من جهة الى  
السكرت والجلات ' ومن جهة الى مرويات التقليد قبل ان  
تذهب بندهاب اصحابها ' عارضين كل ذلك على الاصول  
التقديية . فيتكرن من يأتي بهدمر من وضع تاريخه علمي دقيق  
ليلادنا . وهو ما تقتصر اليه كل الافتقار . (المشرق)

قوله

ما سأل لي الإقدام على هذا البحث رغبتني في افادة مواطني ،  
وولمي في خدمة التاريخ ، وتشويق الادبا . الكبة في القرى  
اللبتانية الى ان ينسجروا على هذا المنوال ، فينجم عن اجتهادهم  
وعنايتهم معرفة مناشئ أسر الوطن واصولها وفروعها وانسابها ومشاهيرها  
وتكاثرها وانقراضها ، فيهون بمد ذلك على مؤرخ بصير طويل الباع ، متوقد  
الذهن ، واسع الاطلاع ، الاستفاداة من دروسهم وجمع اشأتها ، ليفتح الوطن  
المزير بتاريخ تام كامل الصفات المطلوبة .

وقد اعتمدت في كتابته ، فضلاً عما وجدته مذكوراً في السكرت والروائت  
القديية التي بيدي ومُبتأ في بعض كتب المؤرخين ، على مخطوطتين للمرحوم  
الحوري منصور الحنوني الدليتاي ، صاحب تاريخ المقاطعة الكسروانية المطبوع .  
والمخطوطتان المذكورتان تخصان الوجيه السيد بولس عبد الله الحوري الحنوني .  
عنوان الاولى منهما « كتاب سجل كنيية مار يعقوب المقطع في قرية دليتا  
واوقافها » جمه المؤلف وقسمه الى مقدمة وثلاثة فصول . عدد صفحاته ١٠٦ ،



صورة حي بن يقظان في جزيرته

عن حفر خشبي للآلة كنت ( Kent )

من كتاب *The History of Hayy ibn Yaqzan*. London, 1929.



وعدد السطور في كل منها يتراوح بين ٢٥ و ٢٨ سطراً . لا تاريخ له في اوله ، اما الصكّ الاخير فيه فمؤرخ سنة ١٩٠٦ . وعنوان الثانية « نبذة تاريخية في اليال الدلباوية » ، وهذه ايضاً لا تاريخ لها في اولها ، غير ان من طالها رأى ان مؤلفها قد اوقف قلمه فيها سنة ١٨٨٣ . عدد صفحاتها ١٣٥ ، وعدد الاسطر في كل منها يتراوح بين ١٩ و ٢٠ سطراً . تقسم الى قسمين ، ففي القسم الاول بحث عن اصل اليال الدلباوية (صفحة ١ الى ٩٠) ، وفي القسم الثاني بحث عن كنانس دلّتا واولافها (صفحة ٩٠ الى ١٣٥) . لكن يداً اثيمة قد سلخت ، لسوء الحظ ، بمضاً من صفحاتها ، خصوصاً فيما يتعلق بمائلة روفائيل ومنشأها وفروعها ، وقطعت بسكين او مقصّ سطرين او ثلاثة من كل صفحات هذه الكراسة ، مما ضاع الموضوع وشوش المعنى فيها .

وليثبت صاحب النبذة للقارئ ان ما اورده لم يكن الا بعد طول التحري والتنقيب ، قال في المقدمة :

« اني ما قمت ولا اكتفيت برواية وتناقل الاخبار من السلف الى الخلف بل بحث وعولت على مطالعة الصكوك القديمة التي قد عثرت عليها وتلقيتها شامداً كلّي الصدق لا يمكن للخصم تحريفها ولا للسنترض نفيها . . . اذا ارجو ان تنلق يا اخي الاديب ما وقته بجزء النبذة على سيل صافي السريرة والطوية والاستقامة المسيجة لان غايي فيها افادة التريب ومجد الله الرّيب . . اه

وتد اشترت الى المصادر التي اعتمدت عليها الا ما نقلته عن اوراق قديمة مبعثرة ، وقد يكون فرط فيما اورده من التحقيقات التاريخية والجغرافية والاحصائية سهواً او تقصير ، فالمرسوع شاق والطريق وعمر لعدم وجود الوثائق الكافية ، وفي ذلك تميد للمذرعاً قد يشوب هذا المقال من التقص ، وربما ان يرشدني الادبا . ذور النقد الى ما زلّ به اليراع القاصر . فان من يعترف بجزءه فذنبه منثور ، والله المرؤل ان يرمقني بعين عنايته ، انه السميع المجيب ا

## الفصل الاول

## موقع دلتا ومناخها وحالتها الاقتصادية والعمراية

دلتا قرية من قرى كسروان أطلق عليها هذا الاسم لكثرة اشجار الدب التي كانت فيها ، وقد ثلاث بفعل - ميل هائل حدث سنة ١٨٦٢ ، فاستأصلها . انما لم يزل بعض منها في المكان المسمى « الوادي » .

هي قائمة فوق قضة غزير ، شرقيها ، وبعيدة عنها بالسيارة نحو ربع ساعة . وبالتقرب منها ، من الجهة الشرقية الجنوبية ، قلعة قديمة تُعرف « بقلعة معراب » يستدل من ضخامة حجارتها وطريقة بنائها انها من عهد الرومان . وقد تكون الزلازل قوّضتها ، او ان احد الملوك الفاتحين دسرها . مساحة ارضها واسعة جداً وتُمدد من هذا الوجه من القرى اللبنانية الكبيرة . اسفلها يطر سطح البحر نحو ٥٥٠ متراً ، واعلامها ينيف على ١٠٠٠ متر . غير ان علو معظم بيوتها يتراوح بين ٦٥٠ و ٧٥٠ متراً ، واهلها يقولون عنها ان « اولها ساحل وآخرها جرد » . فهذا البون الجسيم في درجات ارتفاعها جعل سبلها صعبة شاقة ذات سلام واقفة ، الا ان فيها طُرق عزبات تريح القادمين اليها من الخارج ، منها طريق دلتا - غزير - جونيه ، وطريق دلتا - برامون - الكفور - محشوش . وشُقت حديثاً طريق ثلاثة تربطها بفسطاط وريفون وميروبا .

يتايها غير غمرة ، شحيحة ، اكنها عديدة تُربي على المشرين . وماؤها عذبٌ للغاية ذو برودة معتدلة خفيف هضام ، وُعرف من الفحص الكيماوي انه خالٍ من السلفات ، وان المادة الكلجية فيه قليلة جداً ، وهو منقّف للامعاء . وقد اكد لي بعض المصطافين الذين خبروه وخبروا مياه اوربة ان مقموله في المدة اشبه بمقول ماء ثيثل (Vittel)

مناخها موصوف بالجودة سيما في الجهات المالية منها ، ويؤتمها طلاب الاصطياف وفي مقدمتهم النازحون عنها من اهلها . تراها محاطة من جهاتها الاربع بنباتات السنديان والفض وغيرها ، مكللة قعها باكليل من الصنوبر ،

كما یجمل هواها نقیاً نشیطاً ، فلا تدخل الامراض الموبئة ساحتها ، بل اذا اتلما صریض من الخارج شفي بة سيرة . وسكانها یضربون ، وقد كان فيها ، في سنة الحرب الكبرى ، نحو مائة شخص بلفوا سبعین وثمانین وتمین سنة ومنهم من بلغ المئة واكثر .

ان الداخل اليها يراها واقمة في سفح جبل ينتهي بواد عمیق ضیق مشرف على البحر ، فيقف مدهوشاً من جمال مناظرها الخضراء ، فاتی اتجاهه بصره ثابن الطابت النضرة واشجار الصنوبر الضخمة الاصول المشوقة القذ ذات الرؤوس المفروشة كالظلال ؛ ويتهيج الاربیبون خاصة بشامدها لانها تذكرهم بجبال بلادهم المشجرة . يدخل اليها من جهة غزير بمضيق یسمى « الهد » ان كن فوقه ثلاثة او اربعة رجال اوقفوا عسكراً ، كما حدث سنة ١٨٦٠ ، وسیأتي خبر ذلك في غير هذا المكان . وتحت « الهد » واد جیل اخضر یفصل حتى شنمیر ، فجونیة ، فالبحر ، وهو اشبه بوادي قادیشا . نعم انه دونه عمقا ، لكنه یضامیه جمالاً بسبب غاباته واتصاله بالبحر .

الثار فیها متنوعة وكافية لدة حاجات سكانها منها الاجاص ، والتفاح ، واللیمون ، والفرجل ، والحوخ ، والدراق ، والمشش ، والتین . والزیتون فیها لیس یبیر . أما حاصلاتها فهي الحطب ، والضب ، والحزیر . قلنا ان الطابت تحیط بها من كل الجهات فیقطع السكان اشجارها بكل حذاقة فلا تلبث ان تذب وتسو ویصدرون اخشابها كحطب للوقود ، او یقیمون « المشاح » امل النعم فینتقلونه للخارج . وهذا مورد لا یتخف به للعملة ولاصحاب الاملاك .

والضب فیها كثير جداً وهو على الجلة من النوع المسئی « المرواح » وهو كثير المصیر یتخرجون منه الدبس لمزونة البیوت في الشتاء ، والمرق ، والنید الفاجر ، یتجرون بها . وعند بعض الملاكین اشكال من النید الذهبي المتاز یسبه الحبراء بنید « كرم المروس » في بكفیاً .

وكان للحزیر المتزلة الاولى قبل الحرب ، فكان الاملون یهتمون كل الاهتمام بزراعة الترت وحرارته وفلاحته حتى صار غضاً كثیفاً حول البیوت

كالتاب ، واذا ما قدم القرية زائر غريب اعتقد ان التوت ينمو على الماء مع انه « بيل » في التاب ، وكان يثمر سنوياً من الفيلج نحو ١٥ الف اقة . اما الآن فقد تبدل الامر فلا يبل اكثر من ٤ آلاف اقة لان الحرب قد اتلفت الكل : الناس ، والارض ، والتوت .

عدد سكانها تجاوز الالفين مات الثلث منهم في الحرب الكبرى ، والثلث الثاني يعيش في بلدان المهجر ، والثلث الآخر باق في الوطن مشقاً بين دلتا ، وجونية ، وبيروت ، واكثر المهاجرين يقيمون في القطر المصري ، وجزيرة كوبا ، والولايات المتحدة ، وفتزويلا ، والبرازيل ، وبينهم من أسس بيوتك نالت شهرة بميدة في عالم التجارة . عدد منازلها قبل الحرب نحو ٣٠٠ ؛ اما الآن فلم يبق قائماً منها سوى ١٢٠ منزلاً تقريباً .

عرفت دلتا قبل الحرب بنفي اهله ، فالتبت « بينك كسروان » ، ودُعيت ايضاً « ضيمة ربنا » في ايام المثلث الرحمت البطريك يوحنا الحاج ، لان البطريك المذكور كان منها . ومنها ايضاً مطران الابرشية ، سيادة الحبر المفضال يوحنا سراد رئيس اساقفة بعلبك ، وخرج منها حينئذ نحو ٤ كاهناً بين قانوني واهلاني كانوا متفرقين في الاديار والمدن .

اكثر اهلها متشغف ، وفيها رجال عديدون يستحقون الذكر ، اما لعلومهم واما لمراكرهم الادبية او التجارية . ومن حسانت سكانها انهم ذور ضيافة يجبون التريب كثيراً ويقتحون له ابوابهم على مصاريمها ، ولا يغادرهم مصطاف الا اسفاً لما يجد فيهم من الانس وكرم الاخلاق .

فيها دور قديمة وحديثة عامرة متقنة في الخارج والداخل تنافس بيوت المدن الكبيرة . ومساكنها غير مجموعة وملصقة ببعضها ، بل متفرقة تحيط بكل منها بقعة من الارض مكشوفة للشمس وللهواء ، مفروسة توتاً واشجار فاكهة تجمل صاحبها مستقلاً في بيته ، ملكاً في رزقه ، لا يخشى اذن الفضولي ولا عينه .

ولها مجلس بلدي نشيط راق يهتم بما يقتضيه إنجاح البلدة من الاصلاحات والمشاريع الصمرانية ، وبيمة رئيسه السيد الياس موسى روقائيل ، استقدم مهندس

درس القرية وطاف في كل احيائها ومكث فيها نحو ٢٠ يوماً ، فرسم بيوتها بيتاً بيتاً مع ذكر ارتفاع كل منها عن سطح البحر ، وخطط فيها من الطرق ثلاث نُسب للسيارات تشبهها شيئاً ويحتفد منها ، اذا ماتت ، سكَّان ائمانها المختلفة . وتوفق رئيس البلدية المذكور بعد بذله الماسعي الكثيرة الشاقة الى ان يقترض من الحكومة مبلغاً من المال حبه على اصلاح نبع القرية المركزي ، «عين الضيمة» ، وبنائه وتحسينه بتمتضي رسم فني . فكانت نتيجة العمل انه صار من اجل ينابيع لبنان ، جديراً بان يُتخذ هدفاً لزيارة السياح والمصطافين .

### الفصل الثاني

#### سكانها الاولون

سكان دلبتا في الحاضر موارنة . اما في القديم فكانوا غير مسيحين . بعد ان تمَّ الفتح المملاني في اوائل القرن السادس عشر ، خمدت نيران المشاحنات وتوفرت الراحة في لبنان نوعاً ، فاندفق اليه الناس من كل جهة . وروى الدويهي ان السلطان سليم الاول ولى على كسروان الامير عساف من اسرا . التركمان ، وارسره ان يُجمن سياسة الترم ، ويجد في تصير البلاد . ولكي يسهل عليه تنفيذ مهمته ، رتب على كسروان مالياً يسيراً فتقاطر الناس اليه من كل صوب : أتى المتأولة من بلاد بعلبك ، فسكنوا فارتيا ، وحراجل ، وبقعاتا . وقدم السنيون من البقاع واستوطنوا فتتا ، وساحل علما ، والجديدة ، والقلبيات وفيترون . وجاء الدرروز من المتن والجرد الى برمانا ، ومزارع كسروان . وكذلك فعل النصارى النازحون من بلاد طرابلس . فان اهل المنجدل توجهوا الى عرامون ، واهالي يانوح الى كفور الفتح ، ومن يانوح انتقل الشيخ حبيش بيماله الى غزير<sup>١)</sup>

قال الحوري منصور : « اما قرية دلبتا فلم أجد من يذكر زمن تجديدها صريحاً بعد خراب كسروان غير ان الصكوك القديمة التي جمعتها من قريتنا هذه

(١) الدويهي : تاريخ الطائفة المارونية ، سنة ١٥٩٥ ، صفحة ١٥٢ و ١٥٣

انبات ان سكانها الاولين كانوا من الطائفة المحمدية كون غالب هذه الصكوك هي مبيعات من ابنا. هم الطائفة الى النصارى . . . . . وكنت اظن ان اسماء الموقنين في الصكوك هي اسماء اشخاص شيمين صنداً على ما قيل . الا ان المؤرخ الدقيق البطريوك بولس ممد اكد لي لساناً ان سكان دلبتا كانوا من الاسلام السنة . وان في الجيل السادس عشر بمد بن تملك السلطان سليم الديار الشامية واعتى في نجاحها اضحى سكان كسروان في سواحله الطوائف التركمانية ، ووسطه الاسلام السنين ، وجروده الشيعة ، وعليه تكون الاسامي التي عثرت عليها في الصكوك هي سنية لاشيعة»<sup>(١)</sup>

فيا ليت صاحب النبذة والسجل اصرَّ على رايه الاول ، لان عندي ان سكان دلبتا الاولين شيمون لاشيون وذلك لاسباب :  
اولاً لا يطابق الحقيقة كلها قول الطيب الذكر البطريوك بولس ممد ان السنين سكنوا في وسط كسروان ، والشيمين في جروده ، ونحن نعلم ان السنين سكنوا قريتي القليطات وفيترون ، وهما من الجرود .  
ثانياً ان سكان دلبتا يرددون الى يومنا بالتناقل انهم خلفوا فيها الشيمين ، والتقليد له شأنه في مثل هذه الامور .

ثالثاً ان معظم الاسماء الموجودة في صكوك طابيع القديمة في دلبتا هي اكثر انتشاراً بين الشيمين منها بين السنين ، كاسمىل ، وعلي ، وابو علي حسن ، وابو علي ناصر الدين ، وابن علي صغير<sup>(٢)</sup> الخ . . . . .

رابعاً في بلدة شطار عائلة شيمية تدعى «عائلة الشحتلي» اي من شحتول ، وشحتول هذه قرية لا يسكنها اليوم الا موارنة ، وهي من الوسط لا من الجرود ، لا يمد كثيراً عن دلبتا . فهذا مما ينفي صحة قول البطريوك بولس ممد . وروى لي احد واطني ، والمهدة على الراوي ، ان في شطار عائلة شيمية تُقسم الى فرعين فرع يدعى «دلباني» والفرع الآخر «دلبتاني» .

(١) السجل صفحة ١ : والنبذة صفحة ٤

(٢) اسرة علي صابر لا تزال موجودة في قضاء جزين وهي شيمية . راجع دراني التطرف

في تاريخ بني المظفر . صفحة ٢٥٠

وتعرف هناك الى رجل شيمي من ، يسمى ابا عباس الدلباني ، اخبره انه علم من والده ان جده باع ارضاً له في دلتا . وعرف ايضاً في جهات بطلبك احمد سيد الدلبتاري وهو شيمي .

فحسبنا بما تقدم ان زجع ان سكان دلتا الاولين كانوا شيمين لا سنين . اما الزمن الذي قدموا فيه القرية فيظن الحوري منصور انه كان بعد تلك السلطان سليم بثلاثين سنة تقريباً . ومن الصكوك القديمة يظهر ان مدة استيطانهم لما لم تطل اكثر من ٣٥ سنة ، حتى اخذ الموارنة مجاورتهم ويتاعون املاكهم . واما هم فتحروا رويداً رويداً الى الجرد ، والى جهات بطلبك . ومن الوثائق التي ثبتت قولنا صك محرز في العشر الاخير من الجيل السادس عشر ، وصك موزخ في سنة ١٦١٥ . قال الحوري منصور : ومن الصكوك ايضاً « استدلت انه تم رحيلهم من هذه القرية في اواخر الجيل السابع عشر ، لان آخر صك من بياباتهم الاملاك عثرت عليه مؤرخاً سنة ١٧٠٠ . . . فن بعد هذا الصك قد انتظمت دلائل وجود طائفة الاسلام في قريتنا هذه وفي كل الصكوك التي وجدتها بعد هذا التاريخ لم اجد فيها توابع لابناء هذه الطائفة قطعاً فنتج لي انه نحو هذا الوقت تم رحيل الاسلام منها والله اعلم »

واقام الشيمون في دلتا بالجهة المسماة الى يومنا « الضيمة » ، وهي تمتد من « عين الضيمة » الى الجهة الغربية منها . اما بقية الانحاء مثل « الجورة » ، والراي ، والحرائب فكانت احراجاً لا يزال آثار منها الى الان . ولما اتاها الموارنة قطنوا في الامكنة البائرة المحرجة ، فبنوا البيوت ، وتقبوا الارض وحرثوها وزرعوها توتاً وكروماً حتى صارت « اسرة » ، وخصصهم الشيمون ، كي لا يستقروا من نبع القرية المركزي « عين الضيمة » ، بنبع هو اليوم في وسط القرية يدعى « عين المحتن » وكان يسمى قديماً « عين النصارى » . ولا يزال اثر صليب منقوش على احد حجارة الحنية . غير ان هذه الحال لم تدم طويلاً ، فاعتم النصارى ان كثر عديدهم واخذوا يشترون املاك الشيمين ويوتهم ، فترج هولاء ، وحل اولئك محلهم .

( للبحث صلة )